١. إنّ تجربة العرفاء، تجربة كشف و ذوق، تلهم صاحبها إلهاماً من لدن العزيز الحكيم، و لهم أحوال لا تصاغ في قالب الكلمات و في هذا المجال يقول «و.ت. استيس»: «يدعي العرفاء أنّ هذه الأحوال لا تتفوه بها و لا ترتدي ثوب الألفاظ فالنصوص العرفانية ثمرة حالات العرفاء الوجدانية».[١]

٢. النصوص العرفانية مشحونة بالإيجاز و الرموز و الكنايات و المصطلحات الخاصة بها؛ و من هنا كان الإسراف في الغموض و الرمز حتى أصبحت عسيرة الفهم، شديدة الالتباس، و يعلّل القشيري في رسالته ذلك قائلاً: «و هذه الطّائفة مستعمِلون ألفاظاً فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، و الاجتماع و الستر على من باينهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها،[٢] نحو: «و رياضة خاصةِ الخاصة تجريد الشهود و الصعود إلى الجمع و رفض المعارضات و قطع المعاوضات»[٣]. فإنّ الكلمات المستعملة في نصوص كهذه، أكثرها مصطلحات رمزية؛ لذلك يتراءى في النصوص العرفانية الجنوح نحو اللغة الشعرية باعتبارها وسيلة لبيان نزعة الإنسان نحو المطلق عن طريق الرموز و الكنايات.

٣. كثيرا ما يختار السجع و الوزن في العبارات العرفانية المنثورة، ذلك لاقترابه من لغة الشعر نحو: «عمل كالسراب، و قلب من التقوى خراب، و ذنوب بعدد الرمل و التراب، ثمّ تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات! أنت سكران بغير شراب»[٤]، «المحبة: إيثار المحبوب عن كلّ مصحوب»، «التصوف: الأخذ بالحقائق و اليأس مما في أيدي الخلائق»[٥].

١. *عرفان و فلسفه*، و.ت. استيس، ص ٤٧.
٢. *الرسالة القشيرية*، ابوالقاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، ص ٢٠٠.
٣. *منازل السائرين*، خواجه عبدالله الانصارى الهروى، ص ٩١ـ٩٢.
٤. *الرسالة القشيرية*، ص ٣٠٤.
٥. *الأنوار الرحمانية في الطّريقة القادرية*، الشيخ عبدالكريم الكسنزايي، ص ٦١.

المقدمة

لا شك في أنّ النصوص العرفانية تشكّل جانباً هاماً من التراث الاسلامي الخالد، و لاغرو أنها حصيلة تجارب العرفاء الشخصية أو العينية و ثمرة مشاهداتهم الوجدانية، حيث أودع فيها رواد منهج العرفان تجاربهم و معتقداتهم و ما صدرت عنهم من حكم و نصائح، ضمن صياغات مشحونة بالرموز و الكنايات للحيلولة دون ذيوع أسرارهم؛ من هنا اختلفت المصطلحات الرائجة في العرفان بكلا شقّيه النظري و العملي عن المصطلحات الخاصة بالنصوص العلمية و الأخلاقية البحتة؛ ذلك أنها في الواقع رموز لفتح آفاق النص العرفاني.

يقول الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري في هذا الصدد: «إنّ للعرفاء مصطلحات كثيرة لا يتيسر فهم مقاصدهم من دون الوقوف عليها، و قد تعمدوا أن تحيط بتلك المقاصد و الأغراض هالة من الخفاء و الغموض لئلاّ يطّلع عليها أتباع غير طريقتهم لتظلّ المفردات العرفانية في طي الكتمان خلافاً لرواد العلوم و الفنون الأخرى، و على هذا، فتلك المصطلحات ــ علاوة على طابعها الاصطلاحي ــ لها طابع رمزي»[١].

خصائص النصوص العرفانية

إلى جانب وفرة المصطلحات في النص العرفاني، سواء على الصعيد النظري أو العملي، ثمّة مزايا أخرى يتفرد بها عن سائر النصوص، تتيح للقاري من خلال الاطّلاع عليها قراءة النص العرفاني و الانتفاع به و استيعابه منها:

١. *آشنايي با علوم انساني، عرفان*، مرتضى مطهرى، ص ٢٣٩.

الآملي، *اصطلاحات الصوفية* لابن عربي، *الأنوار الرحمانية في الطّريقة القادرية* للشيخ عبدالكريم الكسنزائي، *أوصاف الأشراف* للخواجه نصيرالدين الطوسي، *التعرف لمذهب أهل التصوف* للكلاباذي، *تهذيب مدارج السالكين* للإمام ابن قيم الجوزية، *جامع السعادات* لمحمد مهدي النراقي، *حقائق عن التصوف* لعبدالقادر عيسى، *الحقائق في محاسن الأخلاق* للفيض الكاشاني، *شرح داوود بن محمد القيصري على فصوص الحكم*، *صفة الصفوة* للإمام جمال‌الدين أبي الفرج ابن الجوزي، *الفتوحات المكّية* لمحيي الدين بن عربي، *قوت القلوب في معاملة المحبوب* للشيخ أبي طالب محمد بن علي المكّي، *اللمع* لأبي نصر السراج الطّوسي، *مشكاة الأنوار في غرر الأخبار* لابي‌الفضل علي الطبرسي، *مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية* للإمام الخميني، *منازل السائرين* للخواجه عبدالله الأنصارى، *منازل السائرين مع شرح كمال‌الدين عبدالرزاق الكاشاني*، *منازل السائرين مع شرح عفيف‌الدين بن علي التلمساني*، *منهاج النجاة في بيان العلم الواجب على كلّ مسلم و مسلمة* للفيض الكاشاني، *المواقف* لمحمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري، *نقد النصوص في شرح الفصوص للجامي*، *عوارف المعارف* للسهروردي، *لطائف الإشارات* للامام القشيري، *الأعمال الكاملة* لأبي عبدالرحمن السلمي و ديوان ابن الفارض، ديوان الحلاج و ترجمان الأشواق لابن عربي و ... .

ب) أخذنا بنظر الاعتبار المستوى الثّقافي و العلمي للطّلاب، و مدى إلمامهم باللّغة العربية؛ لذلک فقد اخترنا نصوصاً تخلو من المفردات و المصطلحات الغريبة الشاذّة، و إذا واجهنا مفردة غامضة أو مصطلحاً مستعصياً عن الفهم، بحاجة إلى شيء من الشرح و التوضيح، تناولنا إيضاحه في نهاية كلّ موضوع معتمدا على شروح كتب العرفان و معاجم اللّغة نظير: *التعريفات* للسيد الشريف الجرجاني، و *مصطلحات الصوفية* لعبد الرزاق القاشاني، و *اصطلاحات الصوفية* لابن عربي، *لسان العرب* لابن المنظور، *المنجد في اللّغة* للأب لويس شيخو، و *المعجم الوسيط* للمجمع اللغوي بمصر. ثمّ أوردنا جميع تلک المصطلحات و المفردات تحت مسرد خاص في آخر الكتاب على حسب الحروف الهجائية.

٤. تستخدم المصطلحات العرفانية بشكل مفردات مزدوجة و متقابلة لدمج الأضداد في إطار روية توحيدية نحو مكاسب و مواهب، بقاء و فناء، صحو و سكر، فقر و غنا، خوف و رجاء، محو و إثبات،... .

٥. نظرة العارف إلى العالم هي حصيلة مواجهته المباشرة المطلقة و تجاربه الشخصية في ساحة معرفته؛ و لهذا يتوفّر في النصوص العرفانية ما ينطلق من مشاهدات العارف و شهوده، و التصريح بـ «السماع» و «البوادة» و «الهجوم» و «الواردات» من قبل العارف نموذج من هذه التجربة.

٦. العبارات و التعابير المستعملة في النصوص نحو: «قال الشيخ»، «حكى» و... تدلّ على أنّ النصوص العرفانية أكثرها منقولة من قبل تلاميذ العرفاء و مريديهم.

٧. قد استمد العرفاء من الآي الكريمة و أقوال الأولياء الكرام و السلف الصالح دعماً لنظرياتهم العرفانية المنبعثة عن مكاشفاتهم. و لذلک يستهلّون فصول كتبهم بحلية الآيات القرآنية و الأحاديث المروية عن النبي (ص) و الأئمة الطاهرين (ع) و كلام الصحابة الأخيار (ره) (سنأتي بنماذج منها في فصول مختلفة من هذا الكتاب).

٨. العرفاء يكثرون الاستشهاد بالحكايات و القصص و سير العرفاء الكبار كحكاية «أيوب»، النبي (ع) و «فُضيل» و «رابعة العدوية» و «الجنيد» و غيرهم.

خصائص هذا الكتاب

أ) ألّف هذا الكتاب وفقاً لمادة قراءة النصوص العرفانية في فرع اللّغة العربية و آدابها، لذا اخترنا النصوص من المصادر و المراجع العرفانية المشهورة و غضضنا الطرف عن عباراتنا الشخصية و من أهم تلک المصادر: *إحياء علوم الدين*، للإمام أبي حامد الغزالي، *أسرار الشريعة و أطوار الطريقة و أنوار الحقيقة* للسيد حيدر

ج) قد أفردنا فصلاً مستقلاً لبيان بعض المصطلحات الشائعة الاستعمال في النصوص حسب الترتيب الأبجدي، و اختصت المواضيع الأولى لهذا الكتاب بنصوص تبين هذه المصطلحات.

د) قد بدأنا باقتطاف النصوص من العرفان العملي أولاً ثمّ عرجنا على العرفان النظري على الرغم من ابتناء العرفان العملي على العرفان النظري؛ ثمّ ألحقنا به النصوص المنظومة لتيسير القراءة و استيعاب النصوص بنحو أحسن.

ه) قد حذونا في اختيار العناوين و ترتيب الأبواب حذو العرفاء الكبار، مثل أبي نصر السراج الطوسي في كتابه *اللّمع* و عبدالله الأنصارى في أثره *منازل السائرين* و ... .

و) شرعنا في التمهيد باستعراض السير التاريخى للتصوف و الزهد نظراً لأهمية هذا الموضوع في فهم النصوص العرفانية.

ز) ذيلنا كلّ موضوع ببعض الأسئلة و التمارين بغية تسهيل أمر التعليم و تكريس المواضيع في أذهان الطّلاّب.

ح) قد تناولنا في الهامش سير موجزة للعرفاء الّذين نقلنا نصوصاً عنهم ليطّلع عليهم الطلاّب.

ط) قد اختير هذا الكتاب لوحدتين دراسيتين لمادة «قراءة النصوص العرفانية»، و من هنا نقترح على الأساتذة الأعزاء استعراض التمهيد للطّلاّب استعراضاً سريعاً ثمّ انتقاء نصوص منه كمادة دراسية حسب المقتضيات و الظّروف.

و في الختام لا شک في أنّ عملا كهذا لا يخلو من زلاّت و هفوات، فنأمل من الأساتذة و الباحثين المتخصصين في هذا الحقل أن يتحفونا بآرائهم السديدة، مع وافر الشكر و الامتنان.

افبالي ــ مير احمدي